**جامعة وهران 2**

**كلية العلوم الاجتماعية**

**قسم علم الاجتماع والأنثروبولوجيا**

**شعبة: علم الاجتماع**

**وحدة: التغير الاجتماعي**

**أ.د عمار يزلي**

**الدرس 3**

**التغير: من الفلسفة إلى علم الاجتماع**

**1/ التغير الثابت**

التغير كما ذكرنا سابقا، ثابت، أي أنه الشيء الوحيد الذي لا يتغير كما يقول الفلاسفة، فهو ثابت في كل الأشياء بحيث لا شيء ينفلت من تأثيره وعمله عليه. التغير يحدث في كل الأشياء وفي كل الظواهر والتجسدات المادية والبيئة والفضاء العام الذي يحيط بالإنسان، بما في ذلك الإنسان نفسه. فكل شيء يتغير، من الداخل أو بتأثير خارجي: يتغير الفرد، عن طريق الحياة والموت والنمو والمرض والكبر والارتقاء والنكوص، وتتغير الأسرة بتوسعها أو تقلصها وبنموها وانتشارها. كما تتغير المجتمعات عب الصراعات الداخلية من فتن وحروب واقتتال أو تتطور عبر التوسع القهري أو الطبيعي أو عن طريق الهجرات الداخلية والخارجية وحركة التنقل وأيضا طريقة اختيار النموذج الاقتصادي: زراعي، رعوي، ترحل، استقرار..التصنيعـ العمران..

من ذلك، يمكن تصنيف أنواع التغيرات إلى تغيرات موضوعية: منها تلك الناجمة عن تحول وتغير الطبيعة من زمن وجغرافيا: التغيرات المناخية، التحولات البيئية، الكوارث الطبيعية أو تلك الناجمة عن تحولات تقنية عبر تدخل الآلة في مجال الزراعة والصناعة ومختلف أشكال تطور الآلات والاكتشافات والاختراعات وصول إلى التكنولوجيات الحديثة اليوم..وغدا.

كما أن هناك عوامل ذاتية تدخل في التغيير بشرية في الأصل تنشأ عن طريق إرادة ورغبة الإنسان منها:

ـ العمل البشري نفسه المساهم في تغيير الأشياء والفضاء والطبيعة من حوله والتغير الذاتي أيضا، ويمكن إدخال ضمن ذلك الرغبة في معرفة، الاكتشاف، الاختراع وفي مجال الفن والتصميم والهندسة والبناء.

ـ كما أنه التغير قد يكون عبر الممارسات الاجتماعية الجماعية والفردية منها :العمل النقابي والسياسي: تشكيل أحزاب وجمعيات ونقابات..أو عن طريق القوة العسكرية أو عن طريق التعلم والعلم: ثقافة، فن..

ـ وقد يكون التغيير الذاتي عبر أشكال الارتباط الاجتماعي من زواج وتحالف قبلي وعائلي أو تشكل مجتمع مدني وشكل تنظيم تقسيم العمل داخل المؤسسة أو التقسيم الوظيفي بين المرأة والرجل إضافة إلى عامل التحم في الديموغرافيا الذي يبدو أنه يدخل في الجانب الموضوعي، لكن إرادة التحكم فيه: تنظيمه، تحديده تدخل ضمن الإرادة والرغبة الذاتية في ذلك تلبية لضرورة موضوعية أحيانا.

الفرد، باعتباره محور اهتمام الإنسان بنفسه، يجعل من بقية التحولات من حوله وداخله وفيه، موضوع فهم وبحث لهذا كان السؤال الأكبر الأول في الفلسفة: من أنا، من أين جئت وإلى أين أذهب؟ بهذا المعنى كان السؤال وجوديا وهوياتيا بشأن ملاحظة التغيرات من حوله وفيه.

**2/ التغير في الفلسفة القديمة**

كان هيراقليطس (544 ق م)[[1]](#footnote-2)، من بين الفلاسفة الأوائل الذي فلسفوا مفهوم التغير وأعطوه المظهر المادي الإجرائي. فهو القائل: "إنك لا تسبح في نفس النهر مرتين"، باعتبار الماء متحرك جاري دوما مثل الزمن. كما أنه هو القائل "التغير دائم في الصيرورة"، أو بعبارة حديثة: "الصيرورة، لحظة ضمن في السيرورة" (Le devenir est un moment du processus). فالسيرورة (من فعل "سار" "يسير"، ومنه المسير والمسيرة، تفيد الحركة المتواصلة، بينما "الصيرورة" (Le devenir)، ( من "صار" يصير")، تفيد لحظة زمنية واحدة ضمن هذا الخط المتواصل غير المتناهي في مسار التغير والتحول. كما اعتبر " أن التغير كلمة نسبية وأن ما ندعوه تغير بطيء أو تغير في رداء خفي، وأن كل مركب إنما يتحلل تدريجيًا، فكل شيء يأتي ويذهب ويحدث هذا بنسب مختلفة"[[2]](#footnote-3).

هيراقليطس[[3]](#footnote-4) كان يعتبر "أفكار الإنسان لعب أطفال". ذلك أنه كان من منتقدي بعضا من فلاسفة عصره في من يرون التغير خارج الطبيعة وكأنه غير معني بالاهتمام الفلسفي. ومعلوم أن الأطفال في بداية تكونهم الفكري يكونون ميالين أكثر للتجسيد منه للتجريد. هكذا مثلا عبدت الآلهة والأوثان لأنها تجسد لقوى فوقية قاهرة في اعتقادهم، لكن عوض تجريد فكرة الألوهية يتم تجسيدها ليعرفونها ويلمسونها ويحسوا بها ماديا، تماما مثل ما نفعل يف المدرية لتلاميذ الطور الأول عندما نعلمهم التجريد عن طريق التجسيد: فالطفل لا يعرف معنى 1 أو 2، فهو لا يفهم هذا الواحد وهذا الاثنان ما معناهما، لكن لما تجسد لهم المثل بأن تعطيه طبشورا أو ما شابه ماديا، يفهم فيما بعد أن الواحد و ال2 يشيران إلى هذا الشيء أو غيره.. وهكذا يبدأ التجريد عن الطفل ليكبر ويجد نفسه مجبرا على تجريد أكبر في الرياضيات والفيزياء ولطن أيضا في الفلسفة وفي اللغة ..

هذا ما قصد به هيراقليطس في "الأفكار لعب أطفال" موجها نقده خاصة لمعاصره "Parménide"[[4]](#footnote-5)، الذي كان ضد وحدة الوجود.

هيراقليطس، يعتبر من الفلاسفة "الحركيين" Mobiliste، كونه يعتبر أن "الكائن أزلي في الصيرورة"  وأن " كل ما تحت فلك القمر إنما هو في حالة تغير دائم ويتحول إلى أشكال جديدة وقوالب جديدة، فلا شيء يبقى ولا يثبت ولا شيء يظل كما هو. يقول: "نحن ننزل في النهر الواحد وننزل فيه، فما من إنسان ينزل في النهر الواحد مرتين، فهو دائم التدفق والجريان" وهو لم يكتف بإنكار الثبات المطلق بل أنكر أيضًا ثبات الأشياء النسبي فهو مجرد وهم"[[5]](#footnote-6).

"Parménide"[[6]](#footnote-7)، (القرن ال5 ق.م)، كان يعتبر "القلب هو حامل الحقائق التي لا تتزحزح، أما الرأي فتنقصه القدرة على الإقناع". كما أنه تحدث في "الكينونة" (L’Etre)، لكنه لم يعط تفسيرا لأصل الكينونة، مما جعل التغير عنده يبدو لدى هيراقليطس كلعب أطفال. مع ذلك، كان هذا الفيلسوف من بين من لاحظوا تغير الزمن وأول من قال أن "الأرض كروية وتتوسط الكون"، واشتغل على ملاحظة تغيرات الكوكب والأفلاك وقسم الأشياء إلى عنصرين: نار وتراب، وذلك محاولة منه في فهم سر التغير نفسه.

"Xénophane"[[7]](#footnote-8)، من جهته، أبدى محاربته لكل من طاليس و "Epiménide"[[8]](#footnote-9)، على اعتبار أنهم كانوا بالنسبة له "تلامذة هوميروس"، قاصدا بذلك أنهم كانوا ميالين للفخم الأسطوري أكثر من الفهم القلي الفلسفي، حتى أنه سخر من تعدد الآلهة عند شعراء اليونان قائلا "لو أن الثيران والأسود كانت عندهم أيادي لرسموا الآلهة في شكل ثيران واسود"[[9]](#footnote-10)، موضحا بذلك/ نزعته العقلية المادية وتحكم التغير في العملية الكونية وفي العقل البشري أيضا.

كما نجد عند أرسطو، فكرة التغير متجلية في الحقيقية المادية حول الإنسان وفي محيطه وفيه. فقد كان أرسطو "فيلسوفا موسوعيا شاملا ، وكانت فلسفته تنفتح على كل ضروب المعرفة والبحث العلمي، إذ يبحث في الطبيعة والميتافيزيقا والنفس وعلم الحياة والسياسة والشعر وفن الخطابة والمسرح. وقد وضع المنطق الصوري الذي كان له تأثير كبير على كثير من الفلاسفة إلى أن حل محله المنطق الرمزي مع "برتراند راسل" و"وايتهاد"."[[10]](#footnote-11)

يذهب [أرسطو](https://www.marefa.org/%D8%A3%D8%B1%D8%B3%D8%B7%D9%88) بالنسبة لأرسطو، كفيلسوف مادي، فإن التغير هو تغير مادي بالأساس، تلاحظه العين وتشهد عليه وبه الحواس، "فالعالم الحقيقي هو العالم الواقعي المادي، أما العالم المثالي فهو غير موجود. وأن الحقيقة لا توجد سوى في العالم الذي نعيش فيه وخاصة في الجواهر التي تدرك عقلانيا. ولا توجد الحقيقة في الأعراض التي تتغير بتغير الأشكال. أي إن الحقيقي هو الثابت المادي، أما غير الحقيقي فهو المتغير المتبدل. ولقد أعطى أرسطو الأولوية لما هو واقعي ومادي على ما هو عقلي وفكري. ومن هنا عد أرسطو فيلسوفا ماديا اكتشف العلل الأربع: العلة الفاعلة والعلة الغائية والعلة الصورية الشكلية والعلة المادية. فإذا أخذنا الطاولة مثالا لهذه العلل الأربع، فالنجار يحيل على العلة الفاعلة والصانعة، أما الخشب فيشكل ماهية الطاولة وعلتها المادية، أما صورة الطاولة فهي العلة الصورية الشكلية، في حين تتمظهر العلة الغائية في الهدف من استعمال الطاولة التي تسعفنا في الأكل والشرب"[[11]](#footnote-12).

نجد فكرة التغيير أيضا في الفلسفة الإسلامية، التي اعتمدت على كتب "الحكمة" لفلاسفة الإغريق ولكنها طعمتها بالمثل والمعتقدات والأفكار الإسلامية حول النشأة والخلق والتطور والتغير والتبدل والتسبيح والدوران. لهذا أعطى كثير من الفلاسفة المسلمين والعلماء أهمية للتغير ودفعهم للبحث فيه فلسفة وعلما ومنه علم الفلك وتغير الأنواء والمناخ والطقس، ولكنهم أيضا تحدثوا عن "التغيير"، تغيير الإنسان ما بنفسه لكي يغير ما بخارجه [[12]](#footnote-13) بناء على الآية "إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم"، حيث جاءت عدة أمثلة من تاريخ ما قبل التاريخ عن زوال حضارات وانقراض بشر وهلاك أقوام بفعل التغيرات المناخية والطبيعة من زلازل وبراكين وعواصف وطوفان..كل هذا دفع الكثير من الفلاسفة إلى تناول "تغير" ما بالنفس، وتغيير الباطن فيما سموه بالجوهر، لتغيير العوارض أي الشكل، حتى أن نجد الفلسفة الإسلامية قريبة من الأفلاطونية في هذا الصدد، حيث تعتبر الجوهر هو أصل التغيير وأن المتغيرات الأخرى عرضية وليس جوهرية، شكليا وليست باطنية[[13]](#footnote-14)، على خلاف النزعة المادية التي ترى أن التغير الحقيقي هو في الأشياء المادية بدء وانتهاء، فيما يرى الفلاسفة المسلمون أن ثنائية التغير أساسها الجوهر باعتبارها الأصل فيما يكون العرض أو الشكل مكملا للثنائية: مادة/ روح...الشيء الذي ترفضه فلسفة التغير المادي التي لا تعترف بالثنائية وتتطور أن التغير مادي أساسا.

1. <https://livre.fnac.com/a13857889/Haroun-Les-pensees-d-Heractete>

   <https://aawsat.com/home/article/47196> [↑](#footnote-ref-2)
2. برتراند رسل، *حكمة الغرب: عرض تاريخي للفلسفة الغربية في إطارها الاجتماعي والسياسي*، ترجمة د. فؤاد زكريا، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، (62)، 1983 م. [↑](#footnote-ref-3)
3. <https://www.marefa.org/%D9%87%D8%B1%D9%82%D9%84%D9%8A%D8%B7%D8%B3> [↑](#footnote-ref-4)
4. <http://www.cosmovisions.com/Parmenide.htm> [↑](#footnote-ref-5)
5. <http://www.maaber.org/issue_october14/spotlights3.htm> [↑](#footnote-ref-6)
6. <http://www.histophilo.com/parmenide.php> [↑](#footnote-ref-7)
7. <http://www.histophilo.com/xenophane.php> [↑](#footnote-ref-8)
8. <https://fr.wikipedia.org/wiki/Paradoxe_du_menteur> [↑](#footnote-ref-9)
9. شارل فرنر، *الفلسفة اليونانية*، ترجمة تيسير شيخ الأرض، ط 1، 1998 م، دار الأنوار بيروت، لبنان. [↑](#footnote-ref-10)
10. <https://www.marefa.org/%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%84%D8%B3%D9%81%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D9%8A%D9%88%D9%86%D8%A7%D9%86%D9%8A%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%AF%D9%8A%D9%85%D8%A9> [↑](#footnote-ref-11)
11. نفس المرجع [↑](#footnote-ref-12)
12. <https://mqqal.com/2018/08/%D9%81%D9%84%D8%B3%D9%81%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%BA%D9%8A%D9%8A%D8%B1-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B3%D9%84%D8%A7%D9%85-%D8%AC%D8%AF%D9%8A%D8%AF/> [↑](#footnote-ref-13)
13. <https://www.mominoun.com/articles/%D8%B3%D9%86%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%BA%D9%8A%D9%8A%D8%B1-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B3%D9%84%D8%A7%D9%85-%D9%88%D9%81%D9%8A-%D9%86%D9%85%D8%A7%D8%B0%D8%AC-%D9%85%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%81%D9%83%D9%8A%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B3%D9%84%D8%A7%D9%85%D9%8A-1338> [↑](#footnote-ref-14)